مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 04 العدد: 02 سبتمبر 2021 ص ص: 816-845
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

# مضامين الإتصال للزربية المزابية التقليدية

# The communication contents of the traditional Rug

زعابة عمر[1]♦

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر o.zaaba@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 04/ 2021/05 تاريخ القبول: 2021/07/04 تاريخ النشر: 2021/09/30

**الملخص باللغة العربية:**

إنّ المرأة في مزاب استعملت في القديم النسيج لتتواصل مع أفراد مجتمعها وعائلتها، رغم بساطة هذه الأشكال الاتصالية البدائية من حيث تقنياتها وأساليبها مقارنة مع ما عرفه الإنسان من لغة منطوقة، ومع ما يشهده العالم اليوم من تطورات في مجال الاتصال، إلاّ أنها كانت تستعملها لبث رسائل بالغة الدلالة والمضمون.

تجاوز الاتصال لدى الإنسان حدود الرسائل اللفظية إلى الرسائل الغير اللفظية، التي ربما لا ننتبه إليها في حياتنا اليومية أمام تطورات التكنولوجية الحديثة وما يشهده العصر من تغيرات على جميع المستويات السياسية الاجتماعية والاقتصادية والاتصالية، بمختلف الوسائل التكنولوجية العصرية من الأنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي وغيرها، إلا أنّ الإنسان قديما قام بإحداث لغة خاصة به، هي لغة غير لفظية تمثلت في رموز وأشكال اتصالية تحمل في طياتها لغة غير لفظية بالغة المحتوى والمضمون بين أفراد المجتمع المزابي.

يعتبر الاتصال الغير اللفظي جزءا من حياتنا اليومية، فإن كنا لا ندركه بنفس كيفية الاتصال اللفظي إلاّ أننا محاطون بمجموعة من الدلائل غير اللسانية والتي يبثها كل ما يحيط بنا، مثال ذلك الزربية التقليدية التي عبرت بعمق عن ما تحمله باعتبارها وثيقة رسمية للمجتمع المزابي، بيّنت الدور الاتصالي الذي تؤديه الزربية، إذ تجاوزت الزربية جانبها التزييني إلى بعد اتصالي يبرز من خلال استعمال النساء للنسيج بكل أنواعه، بهدف تحقيق الوظيفة الاتصالية وإيصال الفكرة والمحتوى الداخلي لأفراد المجتمع.

**الكلمات المفتاحية:** الإتصال؛ النسيج؛ الزربية؛ مزاب؛ المرأة.

♦ المؤلف المرسل

**Abstract:** In the old world, Mozabite women used the fabric to communicate with members of their society and their families, despite the simplicity of these rudimentary forms and mechanisms in terms of their techniques and methods, as compared to the spoken language of man, and with the developments in communication in the world today, they used them to broadcast very significant messages and content.

Human communication has exceeded the limits of verbal to non-verbal messages, which we may not pay attention to in our daily life in the face of new technological developments and changes in the times at all political, social, economic and structural levels, With various modern technologies from the Internet, social networks and so on, man has created his own non - verbal language in terms of symbols and forms of communication that carry very non- verbal content and content among members of the community.

Non-verbal communication is part of our daily life. Although we are not aware of it in the same way as verbal communication, we are surrounded by a series of non-lexical clues that are emitted by everything that surrounds us, such as the traditional rug, which deeply reflects what it holds as an official document of the Mozabits society, I have demonstrated the communication role of rug, since rug has gone beyond its decorating side to a communication dimension that emerges through the use of all kinds of fabric by women, with the aim of achieving the operational function and communicating the idea and internal content of members of society.

**Keywords:** Communication; Tissue; Rug; M’zab; Woman.

**مقدمة:**

يعتبر موضوع الإتصال منذ منتصف القرن المنقضي وبدايات هذا القرن محور اهتمام العديد من العلماء والباحثين في مختلف تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية، من علم النفس وعلم اللسانيات وعلم الأنثربولوجيا وغيرها من العلوم، في خضم اتساع مجالات تدخل الظاهرة الإتصالية والتعقيدات التي تطرحها رقعة البحث في الإتصال[1]،

1- الباشا حسن، الفنون الإسلامية والوظائف، ج1، دار النهضة العربية، مصر، 1965م، ص: 06.

يجمع العديد من الباحثين على اعتبار الاتصال نشاطا إنسانيا متميزا، بل ويذهب إلى أبعد من ذالك إذ يعتبرون الاتصال مقياسا لقياس درجة تطور وتحضر أي مجتمع[2].

لعل القطاع المادي من الثقافة هو أكثر القطاعات قدرة على إتمام هذا الاتصال، حيث نتج الإنسان البدائي وسائل عيشه وأبدع فيها، من أدوات للصيد والعمل والمسكن والمأكل والملبس، هذه العناصر تشكل ما يسمى لدينا بالفن التقليدي برموزه وألوانه وأشكاله المختلفة، النسيج أحد أهم عناصر الإرث الاجتماعي الذي وصّل بينن الأجيال عبر القرون، حيث أكد الباحثون بأن الإنسان نسج ثيابه وفراشه وخيمه التي كان يعيش فيها، وبتطوره وتطور معارفه، إكتشف الألوان والأشكال والرموز التي استعملتها المرأة الأمازيغية داخل الزربية المزابية كوسيلة اتصالية غير لفظية منذ قرون، كما جسدت هذه الزربية التقليدية الثقافة المادية للمجتمع المزابي، من خلال ترجمتها لحياتها الإجتماعية والثقافية والإقتصادية، من عادات وتقاليد وإحتفالات دينية وإجتماعية، وكما يقول كلود ليفيستروس[3]: "إن درجة تطور المجتمعات القديمة تظهر في عاداتها وتقاليدها وأساطيرها وفنونها".

إن المرأة الأمازيغية المزابية استعملت في القديم النسيج لتتواصل مع أفراد مجتمعها وعائلتها، من خلال نسيجها، إذ كانت العديد من العلامات والرموز التصويرية والأيقونات والأساطير المزابية قد إندثرت عبر السنين، إلاّ أن النسيج حافظ عليها وعلى هذا الإرث الحضاري العميق، بتقاطع خيوطه روي ويروي لنا الحياة اليومية والثقافية لهذا المجتمع العريق[4].

رغم بساطة هذه الأشكال الاتصالية البدائية، من حيث تقنياتها وأساليبها مقارنة مع ما عرفه الإنسان من لغة منطوقة "الكَلاَمْ" فيما بعد، ومع ما يشهده العالم اليوم من ثورات في مجال الإتصال، إلا أنها كانت تستعمل من طرف تلك المجتمعات لبث رسائل بالغة الدلالة، بحيث تمثل بالنسبة لهم على اختلاف أشكالها لغة يتواصلون من خلالها وباستعمال اللغة غير اللفظية، لم يزل مع ظهور الأساليب الاتصالية الأخرى التي أبدعها الإنسان وعمل على تجديدها بل رافقته عبر التاريخ لنلمس وجودها في عصرنا بشكلها

---

2- بوجمعة رضوان، أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، علوم الإعلام والاتصال، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2000م، ص: 11.

3 - ليفي كلود شترواس، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر مصطفى صالح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2005م، ص: 35.

4- بوبرنوسة سعاد أحمد، صناعة النسيج في لبيا، منشورات مكتبة دار الفكر، طرابلس، لبيا، 2006م، ص: 01.

المشفر، والذي يستدعى منا التحكم في مفاتيح تساعدنا على تفكيك الشفرات والرموز والغوص في معانيها العميقة والمتجذرة في تاريخ الإنسانية[5].

إن هذه الزربية تتميز ببعد اتصالي خفي وعميق، ممّا نعمل على اكتشافه وإبرازه بتحليل المضامين والرموز الاتصالية التي تبثها المرأة عبرها في منطقة مزاب، وكذلك تحليل المدلولات والأشكال التي تدخل في تكوينها والتي تتعدى بدورها جانبها الزخرفي والجمالي إلى معاني عميقة تعود بنا إلى فترات ممتدة عبر الزمن، ميزتها النمط الاتصالي فيما بينهم، على هذا المنطلق نصوغ إشكالية بحثنا كالتالي: ''ماهية المضامين الاتصالية للزربية المزابية التقليدية ''.

''الزربية المزابية'' بإعتبارها وسيلة اتصالية تقليدية للمجتمع المزابي والجزائري، تتميز بمستويين:

- المستوى الأول: أنها تترجم الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمرأة الجزائرية وراء الأشكال التزينية من الرموز والشفرات والأشكال التصويرية وإيحاء ألوانها الجذابة الطبيعية التي تعطي لنا طابع جمالي تزييني، زخرفي وبأشكال هندسية بسيطة.

- المستوى الثاني: تتجاوز هذا المنظور إلى البعد السيميولوجي، الذي يتضمن بعض المضامين والرموز كلغة اتصالية، تترجم لنا خصائص المجتمع المزابي، وتبحث في ماهية الأبعاد والمضامين المادية والمعنوية والثقافية والاقتصادية لهذه الرموز، ويشكّل الإتصال الغير اللفظي القنوات الناقلة للمضامين والمعاني الاتصالية عبر الزربية التقليدية البالغة الدلالة، ومحاولة منا لإبراز مكانة الاتصال الغير اللفظي بالزربية، وإبراز خصوصية الرموز والشفرات الموجودة فيها، جعلنا نبحث في أعماق تاريخها ومعتقداتها وطقوسها الدينية والاجتماعية والثقافية الخاصّة وما تحمله من أبعاد حضارية[6].

**1- مفاهيم عامة:**

يرتكز بحثنا على مجموعة من المصطلحات العلمية التي يجب تبينها وتوضيحها، تتمثل في ما يلي:

**1.1- الإتصال:**

---

5- قاسيمي صافية، الإتصال الغير اللفظي للمرأة الجزائرية عبر الحلي الفضة التقليدية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، علوم الإعلام والاتصال، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2006-2007م، ص: 01 -02.

6- بوجمعة رضوان، المرجع السابق، ص: 12.

هي الوسيلة التي تتم بواسطتها تبادل ونقل المعلومات والأفكار، والحقائق، والمشاعر من جهة إلى أخرى لتحقيق الفهم الموحّد، لتتوفر نفس المعلومات والأفكار والحقائق لجميع الأطراف الذين تشملهم عملية الاتصال، يرى علماء النفس أنّ الإتصال هو: عملية تبادل الأفكار والآراء والمعلومات عن طريق الحديث أو الكتابة أو الإشارات والرموز غير اللفظية المستعملة للاتصال، وبالرغم من تعدد المفاهيم للإتصال بين العلوم، إلاّ أنهم قد اتّفقوا على أنّ عملية الاّتصال تقوم على خمسة عناصر اتصالية أساسية هي:

- **المرسل:** الجهة التي ترغب في إرسال المعلومات والأفكار، ونقصد به المجتمع النسوي والمرأة المزابية، أي القائم بالاتصال.

- **المستقبل:** هي تلك الجهة المطلوب تزويدها بالمعلومات.

- **الرسالة:**تعني المعلومات التي يرغب في إرسالها المرسل إلى المستقبل، وهي الرموز والأيقونات المتواجدة في الزربية.

- **الوسيلة (القناة):** التي قد تكون شفهية أو كتابية، أو ملموسة على شكل شيء مادي (الزربية).

- **رد فعل المستقبل:** يتوقف رد فعل المستقبل على طريقه فهمه للرسالة، فقد يقبلها أو يرفضها،هنا يظهر مدى تصديق وتفاعل المجتمع المزابي في فهمهم للرسالة الموجودة في الزربية[7].

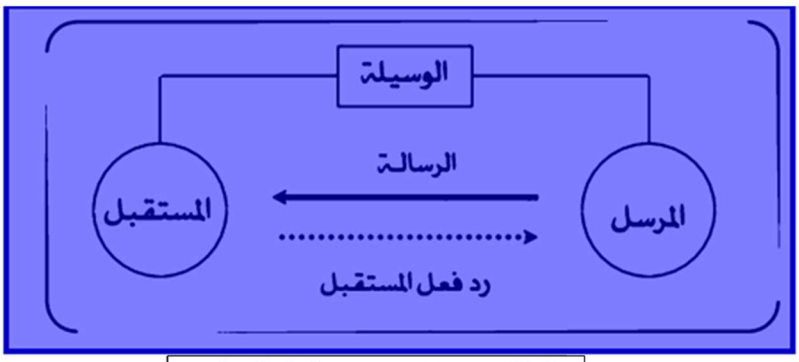


الشكل 01: مخطط توضيحي بين العملية الإتصالية.

**2.1- الدلالة:**

7- رضوان محمود عبد الفتاح، مهارات بناء وتحفيز فرق العمل، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2012م، ص: 16.

درس رولان بارت سيميولوجيا الدلالة التي تهتم بدراسة الإيحاءات، وأعتبر التعيين الأساس الأول الذي يستند عليه الإيحاء، فالدليل في المستوى الثاني (المستوى التضميني) من أجل تجنّب كل إلتباس مع الدليل الأول (دليل التعيين) الذي يسميه دلالة[8]، والقراءة التضمينية ترجع الدلالة الحقيقية للدليل، بمعنى أنها تحليل بما هو أبعد ممّا تمثله كونها تتعلق بالجانب الإنساني المتصل بالتأثير الذي يولده (الدليل)، ونقصد بالدلالة التموضع في المستوى الرمزي (الإيحائي) من أجل الكشف عن المعنى الحقيقي للدلائل الأيقونية أو الصورة والرمز بصفة عامة[9].

**3.1- الإتصال الغير اللفظي:**

يعتبر هذا النوع من الاتصال أقدم بكثير من (الإتصال اللفظي)، بحيث أن الإنسان قد عرفه قبل أن يستعمل اللغة ويطلق رموزا من الكلمات المنطوقة.

ففي الإتصال داخل تلك المجتمعات لابد من وسيلة اتصالية، ليبث من خلالها أفكاره ورسائله، لذلك تدرّج في استعمالات الأشكال الإتصالية الغير اللغوية مثل: الحركات، الإشارات، النظرات، والإنفعالات والصمت والإيماءات...، إلى أن عرف في ما بعد ذات المعنى أو الصوت المفسر ذو المخارج اللفظية[10].

**4.1- الإشارة:**

للإشارة عدة معان، قد يرجع الدال داخل اللغة الواحدة إلى عدة مدلولات، أطلقت على الإشارة التي تتولد تسميته تأويل الإشارة الأولى التي تنوب عن المعنى[11].

**5.1- المؤشر:**

صيغة ليس الدال فيها اعتباطيا بل مرتبط مباشرة بالمدلول (ماديا أو سببيا)، بحيث يمكن ملاحظة هذه الصلة وإستنتاجها.

**6.1- الزربية:**

8- مرسلي دليلة، مدخل إلى السيميو لوجيا، سلسلة دروس في اللغات والآداب، تر عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص: 19.

9- بوجمعة رضوان، المرجع السابق، ص: 14.

10- تشاندلر دانيال، أسس السيميائية، المنظمة العربية للترجمة، تر طلال وهبه، بيروت، لبنان، 2008م، ص: 65.

11- نفسه، ص: 69.

هي مادة مرنة تتألف من شبكة من الخيوط أو الألياف الطبيعية أو الصطناعية، يشار إليها في تقدم مراحل إنتاجها بواسطة عمليات النسيج، والحياكة...، وتدعى أيضا بالأبسطة أو الأفرشة، يقصد بها كل مايفرش على الأرض، ومفردها بساط أو فراش، ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى :"وَاللهُ جَعَلَ لَكُم الأَرْضَ بِسَاطًا"[12]، وفي سورة الغاشية بالزرابي في قوله تعالى: "وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِي مَبْثُوثة"[13].

تختلف هذه المصطلحات من منطقة إلى أخرى، حيث تنطق في مناطق "الحركاتة"و"النمامشة"و"بزلاس" في تونس "بقطيفة"، وتعرف في جبال عمور"بالفراش" أو "الفراشية"، كذلك يطلق عليها" بالطنافس" في المشرق العربي، بإستثناء بغداد التي عرفت فيها الزربية باسم "الزويلة"، إذ أنّ الكلمة فارسية الأصل وتعني اللّف لأنّها تلفّ وتطوى عادة عند عدم استعمالها في فصل الصيف أو عند حملها من مكان لآخر[14].

تعتمد المرأة الجزائرية والمزابية بالخصوص على صناعة الملبوسات والأغطية، بحيث لكل أسرة منسج خاص بها داخل البيت، إذ كانت تلبس من إنتاج يدها على غرار نساء شمال افريقيا، كما تشجّع الفتيات الصغار على تعلم النسيج في وقت مبكر.

إن الإنسان منذ أن وجد عاش يكافح من أجل فرص وجوده، فابتدع الأدوات التي تكفل له الغلبة، وكان من وراء ذالك شيوع الحرف والصناعات المختلفة، لأن"... المعتدلين من البشر في معنى الإنسانية لابد لهم من التفكر في الدفء كالتفكر في الكون و يحصل الدفء باستعمال المنسوج للوقاية من الحر والبرد..."[15].

لقد لازمت المنسوجات الإنسان منذ أن دب على وجه الأرض، وتدرج في صناعتها في سلم التطور، واتخذ ملابسه من جلد الحيوان ثم اهتدى إلى عمل الخيوط من الصوف والكتان والقطن والحرير، ليصنع منها ما يحتاج من المنسوجات سواء الملبوسات أو المفروشات[16]كالبسطة اليدوية التي تعود صناعتها إلى حدود الألف الأولى قبل الميلاد[17]،

12- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة نوح، الآية: 19.

13- نفسه، سورة الغاشية، الآية:15 ،16.

14- بوبرنوسة سعاد أحمد، المرجع السابق، ص: 115.

15- عبد الرحمن ابن خلدون بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م، ص: 733.

16- مرزوق عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب و الأندلس، بيروت ، 2000م، ص: 119 .

حيث يوجد بمتحف اللوفر بباريس أحجار من العصر الآشوري وجدت في خرسان عليها صورة تمثل بساطا قديما[18]، أجاد البابليون صناعة هذه الأبسطة بإستعمال الألوان وحسن مزجها، حتى أصبحت تعرف بإسمهم "الأبسطة البابلية"[19].

**2- تقنيات صناعة الزرابي في مزاب:**

مهما كان نوع الزربية ونموذجها المراد الحصول عليها، فهي تمر كلها بنفس المراحل العملية والصناعية ذلك أن هذه الصناعة البسيطة في طابعها تقليدية بدائية، رافقت الإحتياجات الأولى للإنسان في بحثه عن الدفء، فهي صناعة تقليدية تعتمد على مراحل بسيطة، تبدأ بتحضير المصدر الخام الأساسي وهو الصوف، إذ يمر بعدة مراحل ليصبح جاهز الاستعمال، حيث يزال عنه كل الشوائب، ذلك بعد جزه بمقص خاصة حتى يصبح قابل للاستعمال، هذه المراحل هي:

**1.2- مرحلة غسل الصوف:**

هي أبسط العمليات، تنجز غالبا في البساتين حيث لا تستعمل فيها تقنية خاصة أو مكلفة، ففسل الصوف يبدأ بتسخين كمية معينة من الماء في قدر كبير حتى يصل إلى مرحلة الغليان، ثم يوضع الصوف داخل ذلك القدر الكبير ويبدؤون بخلطه بعمود فترة من الزمن ثم بعد ذلك ينقلونه إلى أحواض مغمورة بالمياه ليقوم بتنقيع الصوف وفتحه داخل الماء، ثم يجفف في الهواء تحت أشعة الشمس، ليسمح ويسهّل عملية إزالة الشوائب العالقة به.

**2.2- مرحلة مشط الصوف:**

يتم مشط الصوف بواسطة مشط ذو حجم كبير تتراوح مقاييسه ما بين(60سم - 80سم) طولا و(15سم-20سم) عرضا، له ثمانية عشر إلى عشرين سنا أو أكثر، يبلغ ارتفاع السن الواحد ما بين (10سم-15سم)، تساعد هذه العملية في التخلص من الشوائب التي ما تزال عالقة بالصوف، كما تعتبر مرحلة تمهيدية لعملية الغزل، ذلك بفرز الخصلات القصيرة عن الطويلة.

---

17- الجادر وليد، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الأشوري المتأخر، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، 1972م، ص: 324.

18- مرزوق عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974م ، ص: 119.

19- الجادر وليد، المرجع السابق، ص: 326.

**3.2- مرحلة القردشة:**

بعد عملية المشط يأتي دور القردشة للخصلات القصيرة والمجعدة قصد بسطها، لتسهيل عملية الغزل، تتم هذه العملية بأداة خاصة تسمى "أقرداش": عبارة عن لوحتين من الخشب مقاساتها حوالي(20سم طولا، 18سم عرضا)، زودت كلتاهما بمقبض من الخشب ذو شكل أسطواني، أنتصبت على اللوحتين أسنانا حديدية مشدودة ومائلة في اتجاه المقبضين.

**4.2- مرحلة الغزل:**

تتمّ عن طريق غزل الخصلات الطويلة التي يتحصل عليها أثناء عملية المشط والقردشة أيضا بأداة تسمى "أَزْضِي"، من أجل الحصول على خيوط خشنة وغليظة نوعا، أما إذا أردنا الحصول على خيوط رقيقة فيكون بأداة تشبه الأولى لكن أصغر منها من حيث الحجم وتسمى" إِنْشِي"، هذه المرحلة تقوم على وضع المرأة طرف في أعلى المغزل ثم تبدأ بتدويره في رجلها إلى أن يلتف الخيط على المغزل ثم تنزعه من المغزل وتضعه في الأرض وهكذا تكرر المرحلة إلى أن تنتهي من غزل الصوف بأكمله، ثم تلفه حول يديها ليصبح على شكل لفافة (تَبَنَتْ) بعد عقدها لكي لا يختلط مع بعضه البعض.

**5.2- مرحلة الصباغة:**

هي عملية تلوين الصوف بأصباغ يستخرج أغلبها من الطبيعة، بعضها نباتية وبعض الآخر من الحشرات، فمثلا اللون الأحمر يستخرج من نبات الفوة أو حشرة القرمز، أما اللون الأصفر فمن شجرة الكرم، أو زهرة الزعفران أو قشور الرمان، كما أخذ اللون البني من نبات العفص والحناء، واستخرج اللون الأزرق من النبلة[20].

فهذه الصناعة لا تختصر فقط في توفر الألوان بل تستلزم أيضا مثبتات لهذه الألوان، إذ استعمل قشور الرمان والليمون والتمر الهندي والشّب، ولا ننسى كذلك أن هذه الألوان كانت في تطور ومع دخول الألوان الصناعية،فقد كان الحرفي يحرص على عدم البوح بالألوان حتى يأمن عدم منافسة أهل حرفته.

أما عن تقنية الصبغ فقد كانوا يضعون كمية من الصبغة في القدر الكبير، ثم يضيفون إليه الماء ويتركونه يغلي، يغمرون فيه تلك المجموعات من الصوف مع الخلط لكي تصل الصبغة إلى كافة الصوف، ثم تنقل إلى أحواض المياه لكي تغسل وتنزع

20- مرزوق عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر ...، المرجع السابق، ص: 123.

الصبغة الزائدة مع وضعها في أشعة الشمس لتجف، وتصبح جاهزة للاستعمال على شكل كرة من الصوف.

**6.2- مرحلة إعداد المنسج:**

تبدأ هذه المرحلة بإعداد آلة النسيج بطريقة يدوية وجماعية يسهم فيها جميع أفراد العائلة، شخصان يجلسان مقابل الوتدين ويمرران فيما بينهما الخيط الخاص بالنسج بشكل أفقي ذهابا وعكسه إيابا بين الوتدين، وينقلون هذه الخيوط إلى عرضتين متوازيتين لتشكل لنا خيوط السدى، ثم توضع هذه العارضتين في مكانهما المناسب مع تثبيتهما على عمودين من الجانبين مع ربط خيوط السدى في الوسط بعصى طويلة إلى الجدار، لتظهر لنا الفراغ الموجود بين خيوط السدى.

في النهاية تأتي مرحلة النّسج، إذ تقوم النساجة بتمرير خيط اللحمة( التي تأخذه من تلك الكرة الصوفية) داخل خيوط السدى، ثم تبدأ بضرب ذلك الخيط بالخلالة بعد أن أغلقت على خيوط السدى بواسطة قصبة التحكم، وهكذا إلى أن تقوم بنسج كمية معتبرة، ثم يقومون بتدوير العارضة الأرضية مع الأفقية، ليدور الجزء المصنوع من المنسج في العارضة السفلية، لتقوم بنفس العملية السابقة، حتى تنتهي من النسج لتقوم بقصه وإلقائه أرضا، مع إختتام بمأدبة تقليدية خاصة حمدا لله على إتمام الزربية[21].

**3- زرابي منطقة سهل واد مزاب:**

تتعدد وتتنوع الزرابى في مزاب على حسب كل منطقة، وعلى حسب المواضيع والرسائل المراد إيصالها، منها:

**1.3- زربية التّنشرة بقصر غرداية:**

تعتبر نموذجا أصيلا للزربية الجزائرية، سكانها من محترفى هذه الصناعة منذ القدم بفعل النشاط الزراعى والفلاحى السائد فى تلك الفترات وتوفر المواد الأولية لصناعتها، كانت فى القديم تطلق على ملابس الرجال وفى بعض الأحيان للصبى الصغير الذي يزاول دراسته فى المدرسة القرآنية،عليها أشكال ورموز بربرية أصيلة مثل: المشط، العروس، جواهر العروس، النخلة، ورسومات وزخارف تشمل أساسا أشكالا هندسية مثل المعينات والمثلثات وخطوط مستقيمة أو منحنية وأشكال ترمز إلى تقاليد المنطقة الضاربة في عمق

21- بوبرنوسة سعاد أحمد، المرجع السابق، ص: 116.

التاريخ وبعض الحروف من كتابة التيفيناغ، أمّا الألوان فهي تتألف من اللون الأحمر الأزرق والأخضر والأصفر[22].

تعتبر التنشرى بقصر غرداية نموذجا فريدا من نوعه، من حيث شكلها العام المتميز بالطابع الخشن فهى غالبا ما تكون بأبعاد 2.1 م × 1.85م، تبدو كأنها مغطاة بالصوف الطبيعية البيضاء، وهى مفتولة على شكل خصلات بسمك أصبع اليد ومنسوجة بطريقة حلقات مجعدة سميكة جدا والحلقة بارتفاع يتراوح من 6سم إلى 7 سم خالية من أي نوع من الزخارف ما عذا الشريطين المتواجدين فى أعلى وأسفل الزربية، اللذين تميزا بصوف مغايرة لباقى الزربية وهى صوف بنّية اللون، (السلسلة النسيجية للزربية التّنشرى تتكون من عدد من خيوط القطن المتناكبة، التى تتراوح ما بين عشرة إلى خمسة عشر خيط، أو من الصوف وحدها، وفى بعض الحالات تخلط الصوف مع الشعر الماعز أو وبر الجمل، أما اللحمة فتكون من الصوف بخيط واحد قليل الفتل وخشن تقريبا بنفس السمك والخشونة مع الخصلات التى توضع لعقد النسيج وحلقات الصوف تكون فيما بينها بواسطة أربعة خيوط من السلسلة فى الاتجاه العرضى وبسبعة خيوط اللحمة أو النير فى الاتجاه الطولى، ونلاحظ أن الحلقات تعقد على خيط واحد من السلسلة النسيجية)، إنّ هذا الشكل العام المتميّز بالخشونة والبساطة فى نفس الوقت الذى تمثّله زربية التنشرى له أهمية خاصّة من حيث توجيه الباحث لمعرفة مصدر وأصل ظهور صناعة الزرابى فهى بذلك الشكل تذكرنا بحلقاتها المجعدة فى الشكل خصلات خشنة من الصوف بالمظهر الطبيعى للأفرشة الجلدية بصوفها قبل الجّز المحصل عليها من الأغنام، والتى كانت ولا تزال تستعمل كأفرشة للجلوس عليها، كما جاء ذكرها في القرآن الكريم: " ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا ممّا رزقكم الله "[23].

فالاحتمال الوارد هو إن هذا النوع من الزربية جاء كنتيجة لرغبة الإنسان الذي يفكر فى طريقة للاستفادة من هذه الصوف كأفرشة وغيرها دون التضحية برأس ماله وهو الغنم، فأنتجت بذلك عبقريته هذا النوع من الزرابي التي تشبه تلك الأفرشة الجلدية الطبيعية فهي بذلك أفرشة اصطناعية بسيطة.

22- بوبرنوسة سعاد أحمد، المرجع السابق، ص: 120.

23- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، سورة الأنعام، الآية: 142.

الصورة 01: زربية النشرى لقصر غرداية.

### 2.3- زربية بني يزقن "أَتِ يزْجَنْ":

هو سجّاد صغيرة كأبعاد سجادة الصّلاة منسوجة من الصوف، معبأة بإحكام لديها اتساق مريح حيث تتميز بالخطوط المزخرفة له بنعومة، وهى متنوعة ومتزاوجة فى الألوان بين الأبيض والأسود والأخضر والألوان الفاتحة، أما فى تاجنينيت (العطف) فنجد نوع يشابهها لكن بخطوط عريضة وبقية المساحة مغطاة بعينات يحددها خطوط مائلة ذات ألوان واضحة وتكتسى زربية "بنى يزقن" وزربية "تغردايت" شهرة عالمية باعتبار مشاركاتها في العديد من المعارض والملتقيات السياحية الدولية.

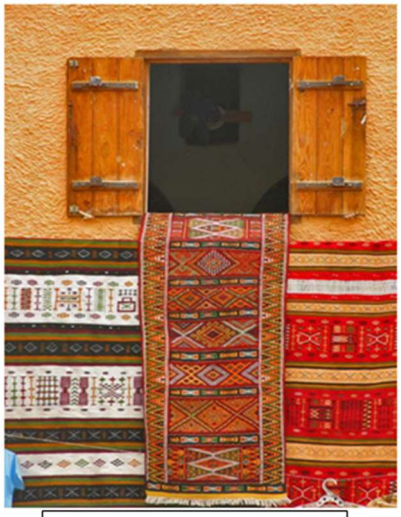

الصورة 02: زربية بني يزقن.

## 4- سيميولوجية الزربية المزابية (تِشْبَرْتْ نَلَشْ أنموذجا):

تعتبر زربية ''تِشْبَرْتْ نَلَشْ '' الأصلية سجل حضاري وثقافي للمجتمع في مزاب من خلال رموزها المختلفة، التي تعبر عن معاني ومظاهر حياة الفرد[24]، جسّدت برسومات وأشكال هندسية مثل: المعين، المثلث، الخطوط المستقيمة والمنكسرة، إضافة إلى رموز تتعلق بالزواج وغرفة العروس... .

بعد محاولة الدراسة والتعمق في الزربية المزابية، توصلنا إلى بعض الزخارف والأشكال الموجودة في النسيج الخاص بمنطقة مزاب ''تِشْبَرْتْ نَلَشْ ''، وهي عبارة عن ''أيقونات نباتية، حيوانية، ومسميات لأشياء جمادية مرتبطة بتاريخ المنطقة، والحياة الثقافية والمعتقدات الدينية القديمة مثل: '' نجمة سيدنا داود، الآلهة تانيث، أمون أنتسلث، رمز لها بالنخلة، والرمان، وبالنجمة سداسية... .

### 1.4- دلالات رموز الزخارف والأشكال[25]:

#### أ- النجمة السداسية[26]:

كان اليهود مع بداية القرن الخامس عشر يشكّلون مجموعة متميّزة تعيش في أحياء خاصّة داخل أسوار بعض مدن وادي مزاب، لاسيّما في مدينة غرداية التي كان يستقرّ بها

---

24- مقابلة مع السيد: حواش عبد الرحمان، باحث وناقد في اللغة والثقافة المزابية، غرداية، يوم: 2016/03/29م.

25- الشرقاوي داليا أحمد فؤاد، الزخارف الإسلامية والإستفادة منها تطبيقات زخرفية معاصرة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، الفنون التطبيقية في الزخرفة، جامعة حلوان، مصر، 2000م، ص: 18.

26- النجمة السداسية: هى مضلع نجمى له ستة رؤوس، يتشكل من اجتماع مثلثين متساويين الأضلاع، يعرف بشكل واسع على أنه رمز للديانة اليهودية باسم نجمة داود، يشير الحرفين الأولين لأحرف النبى داود، وتمثل الصفات العشر للإله عند القابالات، وتمثل ليهود الدونمة ظهور المسيح، كما أنها رمز التحرر اليهودي من السبى والعبودية، كما أن لها استخدامات ودلالات فى العديد من الثقافات والديانات الأخرى كل على حسب خلفياتها وإسناداتها، إذ يرجع تاريخ رمزيتها إلى قبل الملكية اليهودية له، نجدها عند الهندوس، الزرادشتيين، الفيتاغوريين، والحضارتين المصرية القديمة والأغريقية ، كما استخدمت النجمة بإعتبارها رسما هندسيا فى النقوش المصرية والهندوكية والصينية وفى نقوش حضارات أمريكا الجنوبية، ولم نجد نسب النجمة اليهودية لهم، إلاّ فى المصادر اليهودية وذلك بسبب إرتباطهم بالأمم المعاصرة وحاجتهم لرمز يدل عليهم وقوميتهم، أنظر: صالح دعاء، النجمة السداسية تميمة يهودية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، مج4، ع3، 2018م، ص: 75.

أغلبهم[27]، وبالإحتكاك التاريخي بالمجتمع المزابي، وبتأثير اليهود على السوق الإقتصادية، خاصة في مجال الصناعة والحرف، إنعكس ذلك على المنتجات من خلال الرسومات والرموز العديدة التي لها بعد تاريخي وعقائدي للديانة اليهودية وبالأخص "النجمة السداسية"، حيث إستعملت في المنازل للحماية والحصانة الإلهية، إذ إعتقد المزابيون قبل الفترة الإسلامية، أن نجمة سيدنا داود ترد عين السحر والشيطان[28]، ممّا ساهم بذلك في تخصيص رمز لها بالزربية المزابية، تقديسا لمعتقداتهم وكسجل خالد وحافظ لكل ما يدخل على المجتمع المزابي[29].

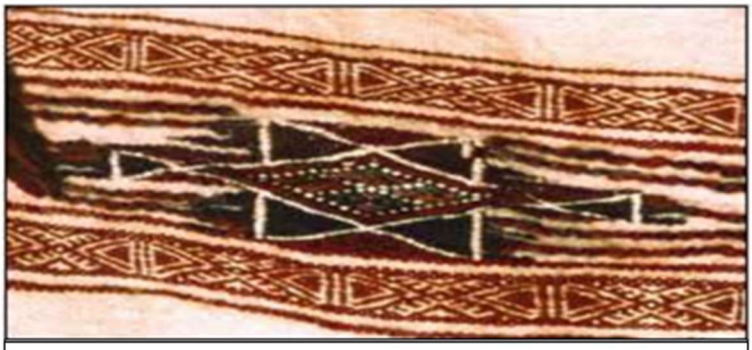

الصورة 03: نجمة سيدنا داود في زربية "تشبرت نلّش".

**ب- أمول: "أمون عند الفراعنة":**

هي رمز لآلهة البربر تدعى بآلهة الشمس"أَمُوْنْ "، الذي كانت عبادته شائعة في مصر، وبالضبط في واحة سيوه التي أخذت تسميته منه وسميت بواحة أمون "واحة إلاه الشمس"، وكان يمثّل بصورة كبش يحمل على رأسه دائرة تشير إلى قرص الشمس، ولقد قدسه البربر لإعتقادهم أنه يمدهم من قوته السماوية ويساعدهم في حماية مواشيهم، ورجاءا للخصوبة[30].

27- بالحاج ناصر، النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2013-2014م، ص: 110.

28- مقابلة مع السيد: حواش عبد الرحمان، باحث وناقد في اللغة والثقافة المزابية، غرداية، يوم: 2016/03/29م.

29- نفسه.

30 - قاسيمي صافية، المرجع السابق، ص: 04.

بما أن الإله أمون يحمل معنى الحياة والديمومة وكذا التجديد كنجم الشمس الذي يتجدد دائما بعد غروبه، هذه الديانة كانت موجودة في القديم قبل دخول الإسلام، فيوجد مثال في الربيع ''تَفْسُوْلَثْ ''، يقومون بجعل الكحل في أعين الصغار والنساء ثم يذهبون إلى الشمس وينظرون إليها لساعات طويلة، اعتقاد أن الشمس مصدر الطاقة وتقوي البصر وأنّ الإله أمون يقوم بحماية أعينهم، وهو يحمل الديمومة، ونجد كذلك في مجتمع القبائل في منطقة بني يني و كل القبائل بعبارة '' أَفْكِيْغَا كْتُوغْمَسْثْ أُنَحَاسْ أَفْكِيِيْدْ ثُوْغْمَسْثْ نَذْهَبْ ''، وهي عبارة تعني أعطيتك سن من نحاس بعد سقوط ضرس ما فأعطيني سن من ذهب، وهي تحمل تقديس أمون إلاه الشمس، ونجدها في الزربية والفخار على شكل أفعى ''تَلَفْسَا ''، مرسومة بخطوط مزركشة على شكل طريق الأفعى، وهي موجودة في عدة أشكال مثل الرموز التي تستعملها العروسة المزابية للزينة على شكل خط عمودي في جبينها يسمى بـ "أمونأو أمول" بالمزابية، وهي معتقدات من الديانات الوثنية[31].

**جـ- الآلهة تَانِيْثْ: آلهة الخصوبة والميلاد**

عبدت منذ القديم في عدة حضارات ومجتمعات، سواء في الحضارة المصرية الفرعونية أو البربرية الأمازيغية في كثير من قبائل شمال إفريقيا، في اللغة الأمازيغية ''نِيْثْ ''معناها أميرات أوآلهة النسيج وتتمثل رمزيتها بالنسل والخصوبة والميلاد، فنجد عند أمازيغ مزاب يستعملون لفظة: (( تِيْنِيثِيْنْ بمعنى: أن المرأة عندما يقترب مخاضها أو في شهورها الأولى من الولادة، يقولون بأن لديها ''تينتين'' أي المخاض والألم في مستوى البطن، وهي تمثل شعائر النسل والتكاثر[32]، تحمل ايضا إسم الأم، نجدها في بعض الشواهد الأثرية في عدة أشكال، منها التمثال الذي مصوّر في منطقة ''سوسة''، في شكلها الجانبي جالسة وعلى رأسها منديل يعلوه قرص بجانبه هلال، في وضعية الأم التي تحمل رضيعها على صدرها[33].

31- مقابلة مع السيد: حواش عبد الرحمان، باحث وناقد في اللغة والثقافة المزابية، غرداية، يوم: 2016/03/29م.

32- بوبرنوسة سعاد أحمد، المرجع السابق، ص:06 .

33- قاسمي صافية، المرجع السابق، ص: 93.

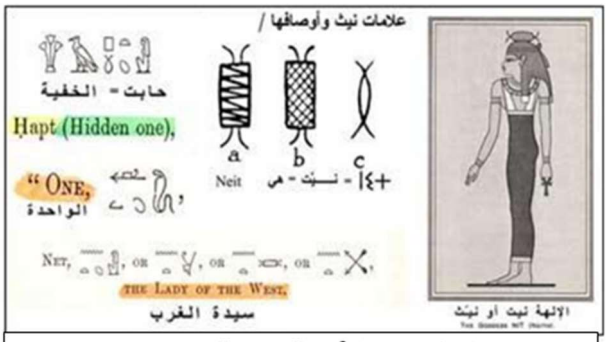


الشكل 02: الآلهة " ثانيت" وترميزها.

**2.4- دلالات رموز الحيوان:**

تعتبر عناصر الزربية عادة أشكالا زخرفيه لا تتعدى بعدها الجمالي، لكنها في الحقيقة تحتل مكانة معتبرة في كل الثقافات وتوصف بكونها نقطة بداية تدوين تاريخ الإنسان كله[34]، كما تشكل إرثا جماعيا، إذ تغوص بنا إلى عالم الوجود، و عالم الطبيعي وما وراء الطبيعة، إلى الحياة، والموت، والخصوبة، والأمان، الآلهة، النجوم، الأشكال الهندسية...، صنّفها الباحثون إلى : أشكال حيوانية ونباتية وهندسية[35].

للوصول إلى معاني الأشكال يجب أن نعمل على و ضعها في سياقها الذي ظهرت فيه، فميدان الدلالات يرتكز على مدونة معينة يسمح بالاتصال داخل مجال اجتماعي معين، لهذا لا يمكن لمثل هذه الأشكال أن تكون لها دلالة عالمية، بحكم اختلاف السياق والظروف الثقافية و الاجتماعية التي كانت تسود تلك المنطقة.

**أ- الثعبان :" أبْرْيْدْ نْتْلَفْسَأْ":**

عادة ما تحمل الزربية البربرية عدة رموز، تؤرخ لحياة المنطقة كرسومات تاريخية موجودة داخل الكهوف والمغارات، توحي بنمط اتصالي كان موجود في تلك المنطقة، سواء حيوانات قدّست أو عبدت، أو على شكل أرواح يعتقدون بوجودها.

فالبنسبة للحيوانات المقدسة في واد مزاب كانت: الأفعى "تَلَفْسَأْ "، العنكبوت " أَوْلَيِلْ"، العقرب " تْغَأْرْدَمْتْ"، عصفور "تَدَأْرْتْ نبُعْوْدْ"، نَأْنَةْ حَمُوْ الغابة"، عين الجمل "تِيط نُوْلَمْ".

34- قاسمي صافية، المرجع السابق، ص: 93.
35 - نفسه.

لقد عرف حيوان الثعبان منذ أزمنة غابرة عبر مناطق مختلفة، إذ كان يثير الخوف في بعض المجتمعات لكن عكس ذلك كان في التفكير البربري، بحيث كان رمزا للحياة في شكلها البدائي[36]، وكانت تقدّم كدواء لمعالجة بعض الأمراض، ورمزا للموت والبعث والخلود[37].

الصورة 04: نموذج لزربية تبين طريق الأفعى بشكل متعرج.

**ب- الحرباء: "تَانَا".**

لهذا النوع من الحيوان رمزية قوية تكمن قدرته على رد الأذى و إزالة السحر، فحسب ماترويه الأسطورة: "أنه في زمن ما كان هناك رجل وزوجته يعيشان في خير وسلام، إلى أن دخلت عليهما امرأة أخرى سحرت الزوج ودفعته للزواج بها، ممّا جعلته ينسى واجباته اتجاه أولاده و زوجته الأولى، إلى أن زال مفعول السحر في أحد الأيام بفعل حرباء كانت تحويها حزمة الحطب التي وضعتها زوجته الأولى على النار، ممّا أدى إلى انكسار خلخال الزوجة الثانية الذي كان دائما في رجلها إلى ثلاثة أجزاء، وإستفاق الزوج ممّا كان فيه، وبدأ في التساؤل عن سبب تواجدها في بيته جاهلا أنها زوجته، ولمّا عرف بالحقيقة ومجرياتها، قام بطردها من البيت ، وأقسمت الزوجة الأولى على وجوب حمل الحرباء وضرورة تواجده داخل البيت"[38]، من هناك بدأ تقديسها و رسمها على الزربية لبعث الأمان والحماية والدفاع للمرأة المزابية في البيت، وحفظا من السحر وسرقت الأزواج والشرور[39].

36- مقابلة مع السيد: حواش عبد الرحمان، باحث وناقد في اللغة والثقافة المزابية، غرداية، يوم: 2016/03/29م.

37- قاسمي صافية، المرجع السابق، ص: 99- 100.

38- مقابلة مع السيد: حواش عبد الرحمان، باحث وناقد في اللغة والثقافة المزابية، غرداية، يوم: 2016/03/29م.

39- قاسمي صافية، المرجع السابق، ص: 94.

الشكل 03: رمز الحرباء وشكلها المنكسر في الزربية المزابية.

**جـ- نَأْنَةْ نحَمُو نَأْلْغَأْبَةْ:**

هي حشرة صغيرة تسكن واحات سهل واد مزاب، تكثر في فصل الربيع تتجول المنطقة، وتقطن وتسكن سيقان و أوراق الأشجار والنخيل، تحكي الأساطير أنّها مصدر حرفة النسيج، من خلالها نشاطها وصبرها وكدها في العمل، وفي لونها الأحمر الزهي والأشكال التي تزيّن وترونق بها ظهرها[40].

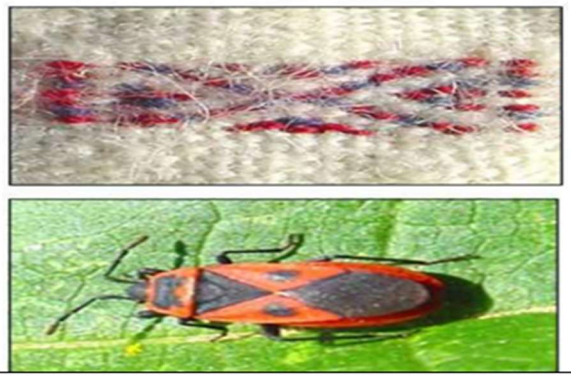

الصورة 05: حشرة" نانة نحمو نلغابت" ورمزها في الزربية المزابية.

**د- العقرب : " ثْغَارْدَمْتْ ":**

هو حيوان صحراوي يتواجد بكثرة في منطقة وادي مزاب خاصة في الفترة الصيفية، تواجدت رموزه وأشكاله في معظم المنتوجات الحرفية كالحلي والزربية المزابية، هذا لكونه يعتبر دفاعا سحريا ضد العين، شكل رموز مربعة داخل الزربية المزابية، كما هو رمز للشجاعة والصبر والصلابة[41].

40- بوبرنوسة سعاد أحمد، المرجع السابق، ص: 44.

41- مقابلة مع السيد: حواش عبد الرحمان، باحث وناقد في اللغة والثقافة المزابية، غرداية، يوم: 2016/03/29م.

يشكل العقرب رمز الدواء والقوة والصبر في المعيشة الصحراوية، يرسم بألوانه الطبيعية بين البني وهو رمز العقرب والأحمر رمز الحياة و القوة، والأخضر رمزا للدواء والعلاج، إذ شكل داخل الزربية بألوان متناغمة بينه وبين الطبيعة التي يعيش فيها.[42]

الصورة 06: رمز العقرب في الزربية المزابية.

**هـ- دار العنكبوت: "تَأْدَارْتْ نُوْالَلْيْ" :**

يسكن العنكبوت منازل ويقطن الغابات يشارك حياة الانسان البدائي في مسكنه وفي زراعته، نجده كثيرا في البيوت القديمة، إذ يعتبر العين التي ترى و تراقب الأماكن الشاغرة، وحارسة لمنازلهم، ممّا نال هو أيضا حضا في الزربيةالمزابية، لأنه دائم الحضور عند فضاءات المرأة في منزلها، ومساعدا وحاميا لها ضد السحليات والحشرات التي تصطاده[43].

الصورة 08: رمز العنكبوت في زربية التّنشرة.

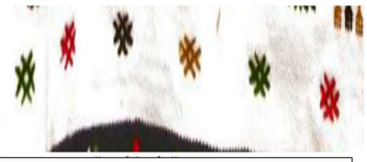

الصورة 07: حشرة العنكبوت في زربية" تنشرت نلّش.

**و- عين الجمل وعين الحمار "تِيْطْ نُوْلَمْ أوتِيْطْ نُوْغْيُوْلْ":**

إنّ هذا الرمز باعتباره أهم الرموز الحيوانية، له تواجد وإنتشار في كل أقطار المعمورة، فهي العين التي تحرص وتراقب الانسان وتحفظه من الشر[44]، لكن بالنسبة لمنطقة واد مزاب يعتبر الحمار أو الجمل الأداة الرئيسية المساعدة له في بناء الحضارة المزابية، إذ لا يمكن الإستغناء عنه في كل الأحوال، بل هو العصب الحيوي في

42- بوبرنوسة سعاد أحمد، المرجع السابق، ص: 44.

43- بوبرنوسة سعاد أحمد، المرجع السابق، ص: 32.

44-Ministre du Tourisme et de L'artisanat, Actes du colloque sur La production du tapis Traditionnel, البعد الإتصالي للزربية المزابية , Alger, 2012, p:70.

الإستخدامات اليومية للإنسان الصحراوي،فكان رافعا للأثقال خاصة مواد البناء والحطب، ومحركا طبيعيا لجلب الماء من الآبار وفي الحصاد والتنقل... ، فكان شريك الانسان حتى في مسكنه بتخصيص فضاء خاص له، وتخصيص أماكن لراحته وربطه في الشوارع العامة، فكان يشارك حياة المزابي بكل تفاصيلها كأنه العين التي تحرسه والظل الذي لا يفارقه[45]، ممّا حظي بمكانة عند المرأة كذلك، وجسدت عينه في زربيتها في شكل معين[46].

الشكل 04: رمز عين الحمار أو عين الجمل في الزربية المزابية.

الصورة 09: عين الحمار على شكل معين في الزربية المزابية.

### 3.4- دلالات الرموز النباتية[47]:

#### أ- النخلة "تازدايت":

النخلة تعبر عن الطبيعة القاسية والحياة الصحراوية، فهي المصدر الأول للغذاء ومصدر رزق للعديد من الأسر في المجتمعات الصحراوية، حيث يخصص في كل مسكن تقليدي فضاء لتخزين تمرها يدعى "باجو "، يطلق للمعينات داخل النخلة بالتمر أو الفول **إبَاوْنْ "الفول"**، وهو رمز من رموز الحضارة الأمازيغية التقليدية، إذ يقدم للأقارب والجيران كنوع من الصدقة ورمز البركة " تنميرت " كوجبة في المناسبات المقدسة مثل عاشورا، إضافة إلى تقديمه مع طابق الكسكسى التقليدي في الغذاء[48].

**- دلالة التعين:**

يمثل رمز النخلة بخطان منكسران عموديان، يتوسطهما خط تتوسطهما معينات صغيرة، يشمل هذا الرمز على ثلاثة ألوان: الأخضر و هو الرئيسي والسائد في هذا الشكل، والبني و الأحمر الداكن أو العنابي الذي يمثل النواة والتمر.

---

45- Ibid.

46 - مقابلة مع السيد: حواش عبد الرحمان ، باحث وناقد في اللغة والثقافة المزابية، غرداية، يوم: 2016/03/29م.

47- قاسمي صافية، المرجع السابق، ص: 105.

48- بوبرنوسة سعاد أحمد، المرجع السابق، ص: 84.

**- دلالة التضمين:**

يمثل هذا الرمز مصدر حياة سكان الصحراء، توحي ألوانه مضامين عدة:

- **اللون الأخضر:** لون يدل على الطبيعة والخير والأمل والخصوبة والحياة والإستقرار.

- **اللون البني:** يعني التربة و مكان النمو، و يرمز أيضا للشمس وللأرض، كما كان يرمز عند الفراعنة إلى جسد الآلهة وبحكم لونه فإنه رمز كذلك للنور وللطبيعة الصحراوية.

- **الأحمر الداكن** : حيث تتسامى الحياة والروح لتجتمعا داخل هذا الرمز، وهو لون التمر " تمجوهرت "، والميزة الرمزية والوقائية التي كان يمتاز بها اللون الأحمر الداكن نجده في إستعمالات البربر له بيوتهم الصحراوية حماية وحفظا من الروح الشريرة.

جمعت الألوان في هذا الرمز لتدلنا بقيمة عمتنا النخلة وما تقاسيه وما تجابهه من تحديات، فهي سجل يروي شظف العيش والصبر والكد في سبيل تحقيق البقاء والوجود، كلها دروس لحياة الإنسان الذي يعيش في الصحراء، إن أراد البقاء فعليه بالتحدي والعمل والجد والاجتهاد، لذلك نجد المجتمع المزابي إقتفى أثرها وأبدع لنفسه مجتمعا منظما بمؤسساته الإجتماعية والعرفية[49].

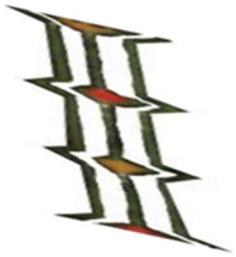

الشكل 05: النخلة "تازدايت" ورمزها في الزربية المزابية.

**ب- جريد النخلة "تۏڤأ"[50]:**

49- مقابلة مع السيد: حواش عبد الرحمان، باحث وناقد في اللغة والثقافة المزابية، غرداية، يوم: 2016/04/16م.

50- نفسه.

يعتبر جريد النخل من أهم المواد التي يستخدمها الإنسان الصحراوي في حياته اليومية، سواء في الواحات وأهميتها في توفير الضلال، أو تقدم كأعلاف للحيوانات، وكمادة أولية للموقد التقليدي، ومادة أولية في صنع الأدوات المنزلية والأثاث المنزلي.

**- دلالة التعين:**

مفتوحة يتوسطهما عمود غليظ، مرسومة في الزربية على مساحة بيضاء أو بنية أو حمراء، تبين لنا التناغم اللوني لها في الطبيعة يعبّر عنه بخطوط غليظة مشكلان زاوية.

**- دلالة التضمين:**

يدل هذا الرمز على البعد الطبيعي المتمثل في العناصر الرئيسية للحياة: الماء والتراب والهواء والحياة، فاللون الأخضر يرمز إلى الطبيعة والاستقرار والهدوء والاسترخاء، فالاستعمالات الرمزية لهذا اللون تمتد إلى الأفراح والمناسبات(خاصة الأعراس)، مثل:

-**اللون الأخضر:** تكون الزربية بهذا اللون والرمز في مناسبة الأعراس التي تدعى: ''ألعادت'': بحيث تقدم وجبة تقليدية (الكسكس) من العروس إلى العريس في صباح اليوم الأول من العرس كعربون مودة ومحبة وتعاون وتفاءل لبداية حياة زوجية سعيدة بين الأسر المتصاهرات، أو في مناسبة الولادة الأولى للعروس، إذ تتزين بها باب المنزل بحلة تقليدية بسيطة وجميلة تدعو إلى الهدوء و الاستقرار والبهجة، توحي المساحة البيضاء فيها على السلام والأمن والصفاء.

الصورة 10: جريد النخل "توفا" ورمزيتها في الزربية المزابية التي تقدّم في وجبة " العادت"

**5- تفكيك شفرات الزربية المزابية '' تشبرت نلش أنموذجا '':**

سنحاول إبراز المعاني الخفية والدلالات المدونة لأهم الرموز والأشكال لما تحمله زربية "تشبرت نلّش" من عناصر إتصالية وإيحائية:

**1.5- المقص: "تِمَضْيَأز"[51]:**

**- دلالة التعين:**

يمثل هذا الرمز خطان متوازيان متقاطعان في ساحة سوداء متكونة من خطوط بثلاثة ألوان: الأبيض والأحمر والأخضر يتقاطعان فيما بينهما مشكلا لنا شكل x مربوطين بنقطة بيضاء في المركز.

**- دلالة التضمين:**

يحمل هذا الرمز دلالات وألوان، إذ يمثل الخطان المتعامدان المتوازيان تسامي الروح والحياة والهدوء والراحة والنشاط، عند تقسيم الشكل إلى قسمين نجد مثلثين مقلوبين، الأول منه يمثل الأنثى أي الزوجة والثاني يمثل الذكر أي الزوج، اللذان يشتركان معا في بناء الحياة الزوجية التي يسودها أوقات الإستقرار والهدوء والإضطراب[52] جسّدت في ثلاثة ألوان[53]:

- **الأبيض:** يمثل روح النقاء والصدق والإخلاص، يعتبر عند المزابيون وسكان الصحراء لونا مقدسا في حياتهم اليومية، إذ يستعمل كلباس سائد في تأدية الصلاة، وفي الزينة عند الزواج خاصة الفترة الأولى منه.

- الأحمر: يدل على الإنفعال والغريزة والحب، يعتبر رمزا للدم والحياة، إستعمله الهنود والفراعنة كمظهر للزواج والبركة، كذلك الأمر لأمازيغ شمال إيفريقيا الذي يرمز عندهم بالحياة والدم الذي يمنح الحيوية والقوة، وأيضا تعبّر عن المرحلة الثانية التي تمر بها الزوجة من فترات بين حب ودماء (الدورة الشهرية)، كأوقات عصيبة مليئة بالحب والانفعال.

- **الأخضر:** يدل على الحياة والخصوبة والأمل والمستقبل، لون عرف منذ القدم من طرف شعوب كثير، يمثل لدى الفلاسفة الطبيعة بالحياة الخصبة والاستقرار ولدى الكنيسة الكاثوليكية إلى الرب و روح القدس، وفي الإسلام يرمز إلى الجنة، نجده عند المجتمع المزابي يوحي إلى الاستقرار في الحياة الزوجية بعد فترات المخاض الأولى من الزواج، التي تعرف بالتوتر واللذة، إنّ هذا اللون يدل على أنّ للمزابيين عادات في

---

51- مقابلة مع السيد: حواش عبد الرحمان، باحث وناقد في اللغة والثقافة المزابية، غرداية، يوم: 2016/04/16م.

52- بوبرنوسة سعاد أحمد، المرجع السابق، ص: 85.

53- قاسمي صافية، المرجع السابق، ص: 110.

زواجهم مبنية على مراحل إذا إجتازوها دون مشاكل، سيصل إلى مبتغاه من الزواج وهو الإستقرار والخصوبة.

العلاقة الشاملة بين هذه العناصر والألوان، تدل على أن للزوج والزوجة حياة جديدة إرتبطت بعقد مقدّس وسط هذه الخطوط المتقاطعة، تبدأ بحب لتمرّ بمراحل صعبة تتطلب منهما الحكمة في تسييرها للوصول إلى حياة الاستقرار.

الصورة 11: شكل المقص في الزربية المزابية( تشبرت ڤلش).

**2.5- مفتاح العروس: "تِنِيْسَأ نتسلت"[54]:**

**- دلالة التعين:**

يعتبر هذا الرمز من أهم الرموز التي تعبر عن الحياة الزوجية، إذ نلاحظ تواجد مفتاحين متقابلين ومتوازيين بلونين مختلفين، الأول باللون البرتقالي الفاتح أو الأحمر والثاني بالأخضر أو الأصفر متقابلين موجودين بين المقص الذي يتقاطع بألوانه الثلاثة: الأبيض والبرتقالي والأخضر[55].

**- دلالة التضمين:**

يعبر رمز" **تِنِيْسَا** " في الزربية التقليدية المزابية على أنّ المفتاح الأول البرتقالي عن الجهة التي يتزوج منها العريسين، من جهة أخرى يمثلان مفتاح كل قلب منهما، ورمزية الألوان توحي بنوعية الإختيار الأمثل والأنسب ( الزوج والزوجة)، بحيث عند أخذك للمفتاح البرتقالي فهذا زواج مليء بالحب والغيرة، وسرعان ما يفتر هذا الزواج إن لم تكن هناك دعائم نفسية وتكاملية مقصديه في نجاح ذلك الزواج، لكن نجد أن المفتاح الأخضر عكس البرتقالي الذي يرسم لنا معاني الحب والاستقرار والهدوء والصفاء وهو الأخير في مقاصد الزواج، يستعمل أحيانا اللون الأصفر الذي يدل على العظمة عند الصينيين والقوة

54 - مقابلة مع السيد: حواش عبد الرحمان، باحث وناقد في اللغة والثقافة المزابية، غرداية، يوم: 2016/04/16م.

55 - قاسمي صافية، المرجع السابق، ص: 108.

والإنتاج والطاقة المستمدة من الشمس، وعلى الحياة المستقرة الجميلة بين الزوجين الذي يملك كل واحد منهما مفتاح سعادة الأخر.

الصورة 12: مفتاح العروس: "تينيسا تسلت" في الزربية المزابية.

### 3.5- القصعة التقليدية المحلية "أَلْمَثْرَدْ":

**- دلالة التعين:**

يمثل هذا الرمز "المترد" أو القصعة الخشبية التقليدية التي يقدم فيها الكسكسى التقليدي للمنطقة مرسوم ومجسّد في الزربية المزابية، من عدة ألوان توحي إلى المنطقة والطبيعة البسيطة بخطوط متوازية تحمل خط غليظ، مشكّلة لنا قصعة بلون بني وأخضر وأبيض و أحمر بنفس الإستعمال، والتوازي للخطوط والألوان تبيّن شكله الواضح الذي جمع في شكله على طاولة توضع فيها الأواني والطعام، الإناء في حد ذاته وسيلة بسيطة اقتصادية في شكلها وفنية بجمالها، تصنع يدويا ومحليا بالفخار أو الخشب بألوان طبيعية محلية وجميلة في شكلها وبساطتها[56].

**- دلالة التضمين:**

يعتبر هذا الرمز من الرموز التي تعبر عن الحياة الثقافية للمجتمع المزابي، يختصر لنا المعنى والبعد الذي قصد من إنشاءه وهو جمع أفراد الأسرة في إناء واحد، دلالة على طبيعة العلاقة الأسرية في ما بينهم، بحيث تجتمع العائلة لتروي ما جرى لها في يومياتها، من أحداث ومشاكل يقوم أفراد العائلة بجذب أطراف الحديث لإيجاد حل لها في إطار النقاش والحوار الأسري، وتكون هناك علاقة جماعية تكاملية بين القدرات العقلية والفكرية وخبرات الكبار، من الجدّ والجدّة والأب والأم التي يقدمانها لأولادهما، فهي ذاكرة

56- بوجمعة رضوان، المرجع السابق، ص: 19.

جماعية تبني الجانب الثقافي من تجارب للماضي، وتعلّم أدب الأكل والحوار بين أفراد الأسرة.

الصورة 13: القصعة التقليدية المحلية "المترد" في الزربية المزابية.

**4.5- سرير العروس" أَسْرِيْرْ أَنْ تَسْلِيْتْ":**[57]

**- دلالة التعين:**

يتكون هذا الرمز من خطوط متقاطعة ومتوازية فيما بينها، على شكل خط عمودي بلون بني، يقطعه خط في وسطه من الأعلى إلى الأسفل على شكل مربع فيه رسومات وتقاطعات بالألوان الطبيعية الثلاثة: الأبيض والأخضر والأحمر، حيث يخرج من هذا المربع ستة خطوط مزركشة برمز أمازيغي.

**- دلالة التضمين:**

يتكون هذا الرمز من خطوط وألوان مشكلة لنا ما يسمى بـ: سرير العروس "أسرير نتسلت"، الذي يذهب تفسيره إلى البعد الضمني الذي يحمله هذا الرمز، كون ألوانه تحمل معاني التسامي والحب والخصوبة، فنجد اللون الأبيض يدل إلى الطهر والصفاء والبراءة والحرية والسلام والاستقرار، أمّا اللون الأخضر ذات الشكل المعين يدل على الحياة والخصوبة والاستقرار الداخلي والازدهار في الحياة الزوجية، واللون الأحمر يدل على الحب والجاذبية العاطفية الزوجية والحياة الرومانسية، أمّا اللون البني المائل إلى اللون البرتقالي يحمل رمز الدفء والانجذاب والشوق والذوق، وهي علامة على اللون الطبيعي للسرير التقليدي والطبيعة الصحراوية، بإجتماع هذه الألوان تتشكّل عناصر

57- مقابلة مع السيد: حواش عبد الرحمان، باحث وناقد في اللغة والثقافة المزابية، غرداية، يوم: 2016/04/16م.

الحياة الزوجية المبنية على الحب والخصوبة والاستقرار المرمز لها باللون الأحمر، واللون البني الذاهب إلى الإصفرار رمز النور والطاقة والبناء.

**6- رمزية الخطوط والألوان:**

نجد في الزربية المزابية عدة خطوط وأشكال وألوان، قد يستغرب أحد منا عن دلالتها و مضامينها التي تحملها، هي للإنسان العادي إنسجام وتناغم للألوان، لكن تحمل في طياتها ما يثير العواطف الجياشة والأحاسيس التي تقودنا إلى بعد عميق لما ورائيتها[58].

- **الخط العمودي:** يدل على تسامي الروح والحياة والهدوء والراحة والنشاط.

- **الخط الأفقي:** يدل على التساوي والعدالة والراحة والثبات والهدوء المنتظم.

- **الخط المائل:** يدل على الحركة وعدم الإستقرار والتذبذب وعدم التوازن في الحياة.

-**الخط المنحني:** يدل إلى الاضطراب والهيجان، يرمز له في الزربية بالوديان الموسمية التي تأتي مضطربة وبشكل مفاجئ.

- **الخطوط الرئيسية :** تعطي إحساسا بالنّماء والعظمة والوقار، ذلك بتلاقى الخيوط الرئيسية بالخيوط الأفقية، التي تدل على التوازن والتناغم.

**7- رمزية الألوان :**

- **البرتقالي:** يرمز إلى الدفء والانجذاب والذوق والشوق.

-**الأسود:** يرمز إلى الظلام والليل والطبيعة الصحراوية الصامتة في الليل بظلامها الحالك.

- **الأزرق:** يرمز إلى الشوق والليل وهو دليل سيميولوجي يرمز إلى الحماية والسماء.

- **الأخضر:** يدل على الخصوبة والإزدهار والإنتاج.

- **الأحمر:** يدل على الدم والحب والجنس والقوة.

- **الأصفر:** يرمز إلى الطاقة والاستقرار وهو منبع للحياة والنور.

- **الأبيض:** دليل سيميولوجي على الصفاء والنقاوة والسلام والهدوء والراحة.

58- بوجمعة رضوان، المرجع السابق، ص: 18.

الصورة 14: سرير العروس " أسْرِيْرْ أنْ تَسْلِيْتْ " ورمزيته في الزربية المزابية

**الخاتمة:**

إن المرأة في مزاب استعملت في القديم النسيج ومضامينه لتتواصل مع أفراد مجتمعها وعائلتها، بعد عرضنا لمختلف أجزاء هذه الدراسة والمقاربة السيميولوجية، توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات التي يمكننا أن نلخصها فيما يلي:

يتميز الاتصال غير اللفظي بأنواعه عديدة من بينها لغة الأشياء التي تمثل الزربية التقليدية المزابية الجزائرية، بحيث تبث إلينا مجموعة من الرسائل المشفرة في الزربية عبر دلالات عناصرها المكونة لها، وكذا المعاني التي تترجمها المرأة من خلال طريقة نسجها واستعمالها لكل رمز وشكل لتعبر عن ما يختلج بداخلها.

تتميز الزربية التقليدية المزابية بكونها لديها استعمالات كثيرة كل واحدة وغرضها واستعمالها وحجمها، هذا التنوع يعطي لنا تطور للمنتوج المحلي وللصناعات التقليدية التي تروج للمنطقة وسياحتها، ممّا سيسمح بالنهوض بالمنتوج السياحي التقليدي .

اتضح لنا من خلال التحليل السيميولوجي بأن كل الرسائل والشفرات التي نجدها داخل الزربية المزابية، هي عبارة عن لغة غير لفظية بالغة المعنى والمغزى ومشفرة يجب تحليلها، واستعمال المجتمع لهذا النوع من الاتصال الغير الشفوي بين أفراد المجتمع المزابي يحفظ عاداتهم وتقاليدهم.

تبين لنا من خلال تحليلنا وفكّنا للرموز، أن كل ما إستعملته المرأة المزابية من رموز لتعبر لنا عن حياتها، يحمل في طياته هذا الإرث الثقافي التربوي الاجتماعي الذي يعطي له المجال للتكافل الاجتماعي بهدف توصيل المعاني التي وضعها أجدادنا.

تجاوز الاتصال لدى الانسان حدود الرسائل اللفظية إلى الرسائل الغير اللفظية، التي ربما لا ننتبه إليها في حياتنا اليومية أمام تطورات التكنولوجية الحديثة وما يشهده العصر من تغيرات على جميع المستويات السياسية الاجتماعية والاقتصادية والاتصالية،

بمختلف الوسائل التكنولوجية العصرية من الأنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي وغيرها، إلا أنّ الإنسان قديما، قام بإحداث لغة خاصة به، هي لغة غير لفظية تمثلت في رموز وأشكال اتصالية، أي أنها تبثّ إلينا رسائل اتصالية تحمل في طياتها لغة غير لفظية بالغة المحتوى والمضمون بين أفراد المجتمع المزابي.

يتمثل الاتصال الغير اللفظي جزءا من حياتنا اليومية، فإن كنا لا ندركه بنفس كيفية الاتصال اللفظي إلاّ أننا محاطون بمجموعة من الدلائل غير اللسانية والتي يبثها كل ما يحيط بنا، مثال ذلك الزربية التقليدية التي عبرت بعمق عن ما تحمله باعتبارها وثيقة رسمية للمجتمع المزابي، بيّنت الدور الاتصالي الذي تؤديه الزربية، إذ تجاوزت الزربية جانبها التزييني إلى بعد اتصالي يبرز من خلال استعمال النساء للنسيج بكل أنواعه، بهدف تحقيق الوظيفة الاتصالية وإيصال الفكرة والمحتوى الداخلي لأفراد المجتمع.

**قائمة المراجع:**


- ✓ القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.
- ✓ ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م.
- ✓ داليا أحمد فؤاد الشرقاوي، الزخارف الإسلامية والإستفادة منها تطبيقات زخرفية معاصرة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، الفنون التطبيقية في الزخرفة، جامعة حلوان، مصر، 2000م.
- ✓ دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، المنظمة العربية للترجمة، تر طلال وهبه، بيروت، لبنان، 2008م.
- ✓ دليلة مرسلي، مدخل إلى السيميو لوجيا، سلسلة دروس في اللغات والآداب، تر عبد الحميد بورايو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.
- ✓ دعاء صالح، النجمة السداسية تميمة يهودية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، مج4، ع3، 2018م.
- ✓ وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الأشوري المتأخر، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، 1972م.
- ✓ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، ج1، دار النهضة العربية، مصر، 1965م.
- ✓ محمود عبد الفتاح رضوان، مهارات بناء وتحفيز فرق العمل، المجموعة العربية للتدريب والنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2012م.
- ✓ مقابلة مع السيد: عبد الرحمان حواش، باحث وناقد في اللغة والثقافة المزابية، غرداية، يوم: 2016/03/29م.
- ✓ مقابلة مع السيد: عبد الرحمان حواش، باحث وناقد في اللغة والثقافة المزابية، غرداية، يوم: 2016/04/16م.

✓ ناصر بالحاج، النظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة، رسالة لنيل شهادة الماجستير، التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2013-2014م.

✓ سعاد أحمد بوبرنوسة، صناعة النسيج في لبيا، منشورات مكتبة دار الفكر، طرابلس، لبيا، 2006م.

✓ عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1974م.

✓ عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب و الأندلس ،بيروت، 2000م.

✓ صافية قاسيمي، الإتصال الغير اللفظي للمرأة الجزائرية عبر الحلي الفضة التقليدية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، علوم الإعلام والاتصال، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2006-2007م.

✓ رضوان بوجمعة، أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، علوم الإعلام والاتصال، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2000م.

✓ شترواس ليفي كلود، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر مصطفى صالح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2005م.

**المراجع الأجنبية**:

-Ministre du Tourisme et de L'artisanat, Actes du colloque sur La production du tapis Traditionnel, البعد الإتصالي للزربية المزابية , Alger, 2012.